جميل نخلة المدوّر

(١٨٦٢ — ١٩٠٧)

للأستاذ كوركيس عواد

١ — كلمة في تراجم رجال العصر

ما زال الشيء المدوّن من تراجم رجال عصرنا ضئيل القدر. فالباحث يحار في أكثر الأحيان، ليقف على ترجمة هذا أو أخبار ذاك! لأن ما بأيدينا من هذه التراجم لا يتعدّى العشرات! وأما أكثر العلماء والكتاب وغيرهم، فلا شأن لهم في تلك المدوّنات. إذ يأتي هؤلاء فيعملون ثم يذهبون إلى حيث يذهب الناس، ثم تندثر أخبارهم وتطمس معالمهم! ولو أحصينا كتب تراجم المحدثين لَما تجاوزت العشرة على ما نظن. وهذا شيء زهيد، إذا ما قيس بالأسفار الموضوعة في تراجم الأقدمين. فللمؤلفين القدماء كتب لا تحصى في تراجم الرجال عامة، أو في تراجم طبقة أو فئة خاصة منهم. فأفردوا للأطباء مثلاً تراجم، وللوزراء تراجم، ومثل ذلك قل عن الأدباء والشعراء والنحاة والحكماء والمحدثين والفقهاء والحفاظ وغيرهم. بل إنك تجد تآليف خاصة بعدد من السنين: كتراجم رجال المائة السادسة أو السابعة أو الثامنة وهلم جرا؛ كما تلفي كتباً في تراجم من عاش في قطر ما أو بلدة ما، أو تراجم رجال المذاهب والفِرق، أو من تميّز بصفة أو أصيب بعاهة، كالمعمرين والمتطفلين والعميان. أو غير ذلك من صنوف التراجم التي يطول بنا ذكرها. وإن تعادينا في تعداد ما صنفه الأقدمون في التراجم، وقسناه بقلة ما صنفه المحدثون فيها، وجدنا ما في أيدينا من هذه التآليف الأخيرة شيئاً نزراً، يسف في بعض الأحوال، ويخيب آمالنا في أكثرها!

٢ — سبب كتابة هذا المقال

والذي حملنا على كتابة هذا المقال، هو كلمة قلناها[1] بشأن مقال ثمين عقده الأستاذ الفاضل محمد عبد الغني حسن في هذه

(١) الرسالة العدد ٤٢٥

(بقية المنشور على صفحة ١٣٧٣)

فردي وحتى لا يؤدي إلى حدوث مشاكل ونزاع بين الأفراد[1].

وعلى الوزير مور أن يهيئ لمملكة الشمس جيلاً منتخباً من أقوى العناصر البشرية وأجملها بنفس الوقت، كي يتمتع الجنسان بالسعادة والهناء؛ ولكي يتم ذلك، عليه أن يربي الأطفال تربية صحية، وأن يجهزهم بالطعام الكافي وباللابس المتناسبة. واللابس في هذه المملكة من النوع الموحد أيضاً، تلبس في الصيف والشتاء على حد سواء، ولا فرق في هذه المملكة أيضاً بين ملابس الرجال والنساء[2].

وإنك لا تجد في هذه المملكة أثراً للعائلة، كما لا تجد فيها أثراً للملكية الخاصة. كل شيء فيها عام، حتى الدين لا يستأثر فيه «الثالوث المقدس» رمز المسيحية بالنفوذ من بين مقدسات الإنسان. هكذا أراد «كامبينيلا» الراهب أن تكون مملكته المثلية على سطح الأرض[3] على المثال الذي أراده أفلاطون، حتى في توزيع الأعمال وتقسيم الطبقات[1]. وكذلك حلم الفارابي المسلم فأراد أن تكون مدينته مدينة مثلية فاضلة، لما ميزاتها من بين المدن المثلية. وكذلك أراد ابن طفيل أن تكون البشرية في عقلية حي بن يقظان[2]. وكذلك فكر الشيخ المهل في جزيرته الخضراء. يمثل هذا فكرت عقلية عشرات وعشرات من مفكري الإسلام[3]

لقد فشل أفلاطون حينما أراد أن يطبق ما تخيله عقله على سطح الأرض. وفشل الفيلسوف الإيطالي كامبنيلا كذلك عندما أراد تطبيق مشروعه على سكان الأرض. هكذا يحلم فلاسفة البشر عن بشرية كاملة مثلى، ولكن أحلامهم تصطدم دائماً بحقيقة ثابتة تمثل فلسفة الواقع، وهي أن بين عالم الأحلام وبين عالم الحقائق بوناً يمثل بعد الأرض عن السماء. فآمن أيها القارئ بالواقع تعش سعيداً ما دامت لك حصة في هذه الحياة.

« بغداد »

ميرار علي

(١) راجع كتابه Citta del Sole 1602 « مملكة الشمس » وكذلك Wessely Sonnenstaat 1900

(٢) راجع K. Kautsky die vorläufer, voigt s, 70 و Oltmar Spann Gesellschaf

(٣) Aster Gesch der Philo s, 188

(١) راجع H. Wuttge Frkennt 1897

(٢) راجع رسالته « حي بن يقظان » طبعة دمشق ١٩٣٠

(٣) راجع بحار الأنوار ج ١٢ حيث تجد فصلاً مختلفة تمثل وجهة نظر المسلمين إلى دولة المهدي المنتظر

المجلة بعنوان : « مدن الحضارات القديمة » ثم إجابة[1] حضرته على كلمتنا المذكورة بعبارات رقيقة ، دلت على سمو أدبه ، وسمو وراء الحقيقة أينما كانت . وقد طلب فيها أن أكتب ترجمة لجميل نخلة المدور . وما كدت أبدأ بذلك حتى وجدت الأستاذ أحمد سفوان يعقب بتبذة[2] على كلام الأستاذ محمد عبد الغني حسن ويؤكد فيها طلبه

وهأنذا ألبي طلبهما بما في مكنتي وفاء لحق كاتب راحل ، خدم الأدب والتاريخ خدمة كبيرة . وقد استعنت في كتابة هذه الترجمة بمؤلفاته نفسها ، وبالمراجع المختلفة التي تُبحث فيها عنه والله المستعان

٣ — ترجمة جميل نخلة المدور

١ — مولده

كانت ولادة جميل في بيروت سنة ١٨٦٢ ، ببيت عرف حينذاك بالمجد والأدب . وقد أرخ الشيخ ناصيف اليازجي[3] أديب زمانه وكبير كتابه ، مولد جميل ، ببيتين من الشعر وهما[4]

لنخلةَ قد أتى نجلٌ جميلٌ كما سُمّي فسَرّ أبًا وأمّا
دعوتُ فقلتُ بالتاريخ ينشو غلامٌ طابقَ الاسمَ المسمّى

سنة ١٨٦٢

٢ — والده

أما والده فهو ميخائيل بن يوسف مدور[5] ، الذي ولد في بيروت سنة ١٨٢٢ . ثم دخل في مدرسة عين طورا فدرس اللغتين الفرنسية والإيطالية ، فضلاً عن اللغة العربية التي برع فيها . ثم أخذ يتعاطى التجارة زمناً مع إخوته . وفي سنة ١٨٥٢ اقترن بالسيدة روزا بنت نقولا صالحاني ، وكانت سيدة فاضلة أديبة

ولقد توغل ميخائيل في تاريخ الغرب ، وأصاب بسهم وافر من آدابهم ؛ فاختير عضواً في الجمعية الآسيوية الفرنسية بباريس ، والجمعية العلمية السورية ببيروت ، وكان صديقاً حميماً للشيخ ناصيف اليازجي . ومما يذكر له بلسان الثناء والحسن والتقدير الذي هو أهل له ، أنه في الوقت الذي كانت سوق العلم كاسدة ، والإقبال على نشر الكتب يكاد يكون معدوماً في البلدان الشرقية قام فطبع على نفقته في سنة ١٨٥٤ مقامات اليازجي المعروفة بـ « مجمع البحرين » كما سبق له أن طبع « مقامات الحريري » فأنشده الشيخ ناصيف قصيدة ، منها هذان البيتان :

ملكت الفضل في شرع وعرف فليس على كمالك بعض خلف
إذا عدّت رجال العصر يوماً فإنك واحـــد بمقام ألف

وكان عوناً على إصدار أول جريدة عربية في بيروت ، وهي « حديقة الأخبار » سنة ١٨٥٨[1]

وعُين ترجماناً في قنصلية فرنسة ببيروت ، لأنه كان يجيد الفرنسية إجادته العربية ولبث في هذا المنصب إلى آخر أيامه

وكانت له خدمات علمية ووطنية عديدة ، لا يسعنا استيفاؤها في هذا المقام

وقد خلّف أربعة أبناء اشتهر منهم اثنان في العلم والتأليف وهما نجيب[2] وجميل صاحب الترجمة

٣ — شيء من حياة « جميل »

عرف « جميل » منذ صغره بالنباهة والذكاء وصلابة الذوق ؛ وأوتي قريحة وقادة لا تخبو نارها بسلاسة عبارته ، وبصيرة نقادة لا يخفى شرارها بطلاوة نوادره وحسن فكاهته ، وجداً يستهل المتاعب ، وثباتاً يغلب المصاعب[3] . وقد أظهر براعة كوالده في تعلم العربية والفرنسية ؛ فوضع في الأولى تصانيف ومقالات عديدة كما كان له من الثانية أكبر عون على توسيع آفاق فكره ، ونقل بعض المؤلفات منها إلى لغة الضاد

ولقد نالت مؤلفاته استحساناً من رجال عصره . فكتابه

---

(١) الرسالة العدد ٤٢٦
(٢) الرسالة العدد ٤٢٧
(٣) ولد سنة ١٨٠٠ وتوفي سنة ١٨٧١ ، وشهرته الأدبية واللغوية تغني عن التعريف
(٤) تاريخ الصحافة العربية للفيكونت فيليب دي طرازي (١ : ١١٥)
(٥) ترجمته مفصلة في تاريخ الصحافة العربية (١ : ١١١ — ١١٤) ومنها لخصنا هذا الكلام

(١) زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية (٤ : ٢٥٤)
(٢) توفي نجيب في ١٧ شباط ١٩٠٧ ، أي بعد وفاة أخيه « جميل » بأيام قلائل ، وترك كثيراً من الآثار الأدبية منها كتاب « بلاد الأندلس وأهلها » ، وهو بحث تاريخي لم يزل غير مطبوع (أنظر تاريخ الصحافة العربية ١ : ١١٤) ، وانتقد ترجمة كتاب « ألف ليلة وليلة » التي نقلها الدكتور يوسف مردروس من العربية إلى الفرنسية في مجلدات شتى فعلق عليها الشروح الوافية ، وهذا أيضاً لم يطبع ، وله مقالات ذات شأن في الصحف العربية المختلفة : كالبشير ، والجنة ، ولسان الحال ، والأهرام ، والوقت . فضلا عن الصحف الفرنسية الشهيرة كمجلة Journal Asiatique و Revue des Deux Mondes و Les Dépats وغيرها
(٣) بحروفه عن المقتطف (١٢ [١٨٨٨] ص ٥١٥) والكلام للمرحوم يعقوب صروف

«حضارة الإسلام في دار السلام» التي يأتي الكلام عليه في مكان آخر من هذا المقال ، « قدّره وأنزله منزلة رفيعة كما يستحق ، كل من جودت باشا وزير المعارف العثمانية ، وأحمد مختار باشا الغازي المشمد السلطاني في مصر سابقاً ، وغيرهما من مشاهير الرجال . وقد كافأه عليه حينئذ السلطان عبد الحميد بجائزة مالية تنشيطاً له على خدمة العلم »[1]

وهذا العلامة جبر ضومط ، أثنى على كتاب حضارة الإسلام المذكور ثناء عاطراً ، فقال فيه إنه « كتاب لو وُزن بالدرر لرجحها ! »[2]

وذكر المؤرخ جورجي زيدان ، في معرض كلامه على ما أدّاه جميل للدور اللغة العربية ، فقال إنه « خدم آداب هذا اللسان خدمة حسنة يذكرها له التاريخ ما بقيت اللغة العربية ! »[3]

وذكر إدورد فنديك في محتويات كتاب حضارة الإسلام أنها « مفيدة من حيث لغتها وآدابها ورونقها التاريخي » وزاد على ذلك قوله : « نحث كل شاب على اقتنائها »[4]

وانتقل جميل إلى القاهرة ، وتولّى في آخر حياته فيها تحرير جريدة « المؤيد »[1] وهي إحدى كبريات الصحف المصرية[2] فأظهر من المقدرة الصحافيه حينذاك ما يشهد له بطول الباع فيها وكان قد نشر مقالات عديدة في مجلة « المقتطف » ومجلة « الجنان »[3] للعلم بطرس البستاني وأبنائه من بعده

وهنالك مناح مختلفة من حياته لم نتحققها ، لأن جميع المراجع التي بأيدينا لم تشر إليها . من ذلك هل كان قد تزوج ؟ وهل خلّف أبناء ؟ وفي أية سنة ارتحل إلى مصر ؟ وما هي الدواعي إلى ذلك ؟

٤ — وفاته

وقد أدركته المنيّة في القاهرة في ٢٤[4] وقيل في ٢٦[5] كانون الثاني سنة ١٩٠٧ ، وهو في عز كهولته ، إذ لم يتجاوز آنذاك من العمر السادسة والأربعين ! فمات بعيداً عن وطنه وذويه ، مأسوفاً عليه من عارفيه ومقدري فضله . فرحمه الله رحمة واسعة .

(البقية في العدد القادم) كوركيس عواد

(١) تاريخ الصحافة العربية (١ : ٥ ١١)
(٢) ضومط : فلسفة اللغة العربية (ص ١٨١)
(٣) زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر (٢ : ٢٢٣)
(٤) فنديك : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع (ص ٤١٧)

(١) يوسف أليان سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة (ص ١٧٢١) .
(٢) أنشأها الشيخان أحمد ماضي وعلي يوسف سنة ١٨٨٩
(٣) تاريخ الصحافة العربية (٢ : ٤٥)
(٤) تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين للأب لويس شيخو اليسوعي (ص٢٢) ، وتاريخ الصحافة العربية (١ : ١١٥)
(٥) شيخو : المخطوطات العربية لمكتبة النصرانية (ص ١٨٧) .

إلى شواة المغناطيسية والى المصابين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية عن شرح طرق وتدريبات تملك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفي تقوية الذاكرة والإرادة ومراحة التفوق المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسي والحصول على دبلوم في هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد نوما ٧١٩ شارع الخليج المصري بشبرة بمصر وارفق بطلبك ١٥ مليما طوابع للمصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة في مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في القطر وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشا في الخارج عن كل مجلد .